أقوال الطوائف في كلام الله ومنه القرءان

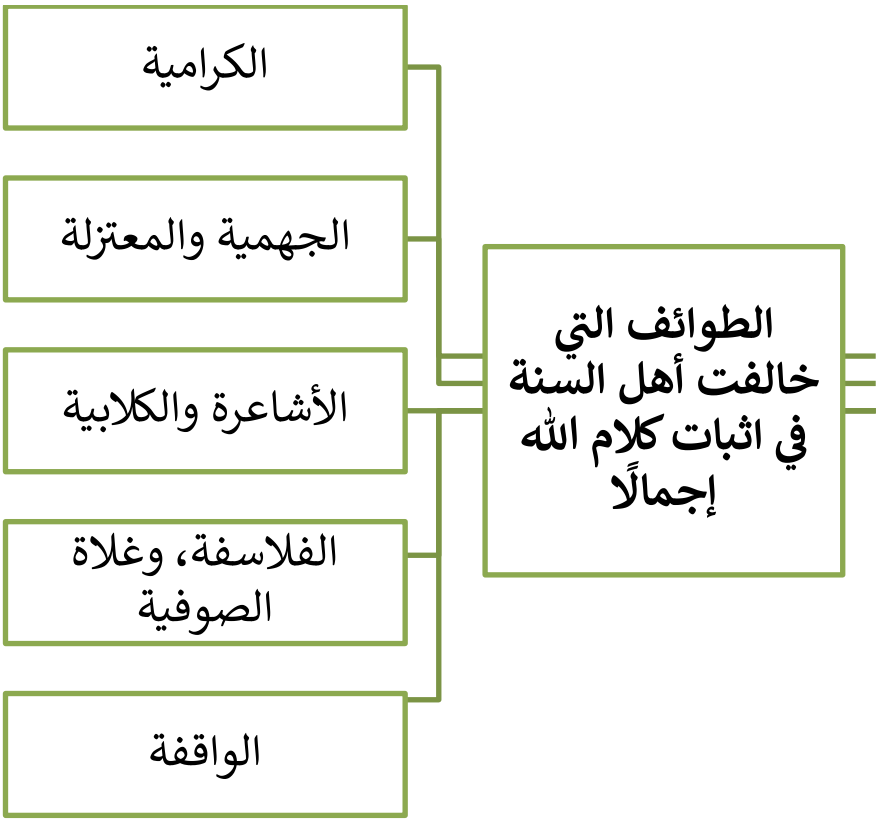

قال ابن القيم في نونيته:

واذا أردت مجامع الطرق التي ... فيها افتراق الناس في القرآن فمدارها أصلان قام عليهما ... هذا الخلاف هما له ركنان هل قوله بمشيئة أم لا وهل ... في ذاته أم خارج هذان أصل اختلاف جميع أهل الأرض في ... القرآن فاطلب مقتضى البرهان
المعنى: أن الخلاف في صفة الكلام والقرءان قائم على أصلين: الأول: هل قوله بمشيئة أم لا؟ الثاني: هل الكلام صفة قائمة بذات الله، أم لا؟

أولًا: الكرامية:

من هم الكرامية؟	الكرامية: أتباع محمد بن كرام السجستاني وهو متكلم عقلاني رد العلماء كابن حجر حديثه لبدعته.
عقيدة الكرامية في كلام الله، والقرءان	وبين الكرامية وأهل السنة موضع اتفاق، وموضع افتراق: **اتفقت مع أهل السنة والجماعة:** في أن القرآن صفة من صفات الله جل وعلا وأنه كلام الله جل وعلا تكلم به ويتعلق بمشيئته.
	واختلفت مع أهل السنة والجماعة: في أن القرآن أو الكلام مكتسب، وأنه صفة حادثة لم تكن لله جل وعلا.
الرد على الكرامية	سبب ضلال الكرامية هو النظر بعين عوراء لصفات الله، وعدم تفريقهم بين صفات الذات لله، وصفات الأفعال، وفهمهم المغلوط أن صفات الأفعال ليست ذاتيه، اتصف الله بها أزلًا، وأبدًا. لذا شيخ الإسلام ابن تيمية رد على الكرامية وقال: كلام الله قديم النوع حادث الآحاد.

ثانيًا: المعتزلة والجهمية:

من هم المعتزلة؟	المعتزلة أتباع واصل بن عطاء وكان يحضر في حلقة الحسن البصري، فسئل الحسن عن حكم مرتكب الكبيرة، فقال: هو مسلم تحت مشيئة الله إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له، فاعترض واصل وقال: هو في منزله بين المنزلتين، لامؤمن ولاكافر، وخرج من مجلس الحسن البصري، وأقام حلقة في المسجد ودعا الناس لبدعته، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسموا بالمعتزلة.
ما هو مذهب الجهمية والمعتزلة في	اتفقت الجهمية والمعتزلة على أن كلام الله، ومنه القرءان مخلوق، يخلقه في بعض الأجسام، فمن ذلك الجسم ابتدأ الكلام لا من الله

صفة الكلام لله؟	لكن هناك فرق بينهما: **فالجهمية:** لايقولون بأن القرءان كلام الله، ونفوا كلام الله حقيقة ومعنى.
	أما المعتزلة فيضيفون الكلام إلى الله ولكنهم يجعلونه من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، فنفوا كلام الله وصفًا، لكن أثبتوه خلقًا. لذا أتى عمرو بن عبيد المعتزلي إلى أبي عمرو بن العلاء -أحد القراء السبعة- وطلب منه أن يقرأ هذه الآية بنصب الاسم الشريف، فقال اقرأها: (وكلم الله موسى تكليماً) وقصده بذلك أن يكون موسى هو الذي كلم الله، وأن لا يكون الله مكلماً له، ولكن أبا عمرو بن العلاء كان ذا فطنة وفهم، فقال: هب أني قرأت هذه الآية كذلك، كيف تصنع بقول الله تعالى في سورة الأعراف: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف:١٤٣] ؟ فبهت ذلك المعتزلي، وعرف أن هذه الآية لا حيلة له في تحريفها.
سبب ضلال المعتزلة من الجهمية؟	أنهم جعلوا كل المضاف إلى الله إضافة خلق وإيجاد؛ ولو يفرقوا بين إضافه الأعيان، واضافه المعاني والأوصاف
تلخيص محنة الإمام أحمد بن حنبل مع المعتزله	حصل نزاع طويل بين أهل السنة والمعتزلة، وممن أوذي في الله في ذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إمام أهل السنة، الذي قال فيه بعض العلماء: (إن الله سبحانه وتعالى نصر الإسلام بأبي بكر يوم الردة، وبالإمام أحمد يوم المحنة) **والمحنة:** هو أن المأمون عفا الله عنا وعنه أجبر الناس على أن يقولوا بخلق القرآن، حتى إنه صار يمتحن العلماء ويقتلهم إذا لم يجيبوا، وأكثر العلماء رأوا أنهم في فسحة من الأمر، وصاروا يتأولون: إما بأن الحال حال إكراه، والمكره إذا قال الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان؛ فإنه معفو عنه.

	وإما بتنزيل اللفظ على غير ظاهره؛ يتأولون، فيقولون مثلًا: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور؛ هذه مخلوقة. وهو يتأول أصابعه. أما الإمام أحمد ومحمد بن نوح رحمهما؛ فأبيا ذلك، وقالا: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق. ولم تنته الفتنة إلا في زمن المتوكل، واستمرت هذه الفتنة لمدة عشر سنوات.

شبهات وأدله المعتزلة، والرد عليهم:

سيتم تقسيمها إلى مبحثين:

المبحث الأول: الأدلة الشرعية التي استدلوا بها.

المبحث الثاني: شبهات، ولوازم عقلية باطلة استدلوا بها.

❁❁❁❁

المبحث الأول: الأدلة الشرعية التي استدلوا بها.

الأدلة التي استدل بها المعتزلة	الرد عليهم
قول الله تعالى: { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر:62]، والقرآن شيء، فيدخل في عموم قوله: {كل شيء}	**التفسير الصحيح للآية:** كل موجود سوى الله وصفاته فهو مخلوق. **والجواب عليهم من وجوه:** **الأول:** أن القرآن كلام الله تعالى، وهو صفة من صفات الله، والصفات ملازمة للذات لايتصور انفصالها عنه. **الثاني:** أن مثل هذا التعبير {كل شيء} عام قد يراد به الخاص؛ مثل قوله تعالى عن ملكة سبأ: {وأوتيت من كل شيء} [النمل:23]، فالمعنى أوتيت من كل شيء يصلح للملوك، وإلا فقد خرج شيء كثير لم يدخل في ملكها مثل ملك سليمان.

	وقوله تعالى في الريح التي أرسلت على عاد: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ} المراد أنها دمرت كل شيء يصلح للتدمير، فهي لم تدمر مساكنهم. **الثالث:** قال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية ردًا على شبهتهم: فمن أعجب العجب، أن أفعال العباد كلها عندهم لم يخلقها الله، وإنما يخلقها العباد جميعها، فأخرجوها من عموم كل، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة}. **الرابع:** القرءان لايدخل ضمن الآية لأنه حصل به الإعلام وما يحصل به الإعلام لايكون داخلا تحت الخبر. فلو قال إنسان لن أتكلم اليوم إلا كذبًا، هذا لايعني أن مقولته داخله فيه. وكما في قوله تعالى عن مريم: { فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا} فلن أكلم لم يكن داخلًا تحت الخبر. ولذلك بُهت المعتزلي أبو الهذيل العلاف لمّا جاءه رجل وسأله: ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق، قال: هو مخلوق؟ قال: نعم، قال: إذاً: يموت أم يخلد؟ قال: يموت، قال: وكيف موته؟ قال: يموت بموت من يتلوه، يعني: الذي يتلوه إذا مات مات القرآن، قال: نعم، أرأيت كل الدنيا قد زالت ومات كل من يتلو هذا القرآن ولم يبق إلا الواحد القهار فقال: ((لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ))؟ فبهت المعتزلي، وما استطاع أن يتكلم.
قال تعالى: { إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ	الجواب: **أولًا:** أن عيسى ليس هو كلمة الله، بل خُلق بكلمة

وَكَلِمَتُهُ} (النساء: 171) قالوا: عيسى كلمة الله، وعيسى مخلوق، فيكون كلام الله مخلوق.	الله، خلقه الله بكن، وليس هو كن. كما قال تعالى: { إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} (آل عمران: 58). وخص عيسى بأنه كلمة الله تشريفًا له. ثانيًا: هناك فرق بين عيسى وكلام الله؛ فعيسى سماه الله مولود، وطفل، وغلام، ويأكل، ويشرب، وكان في رحم مريم، وتغذى بالدم، وهذا لايقال في كلام الله.
قال تعالى: " وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا" (الأحزاب: 38) فقالوا أمر الله هو كلامه، والمقدور مخلوق، فدل على أن كلامه مخلوق.	**الرد عليهم:** القدر والأمر والشرع يأتي بمعانٍ في القرءان: **الأول:** المصدر: وهو أمر الله، وهو ليس بمخلوق. كما في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} (النساء: 58) فهذا كلامه ﷻ. **الثاني**: المفعول: أي المخلوق، كما في هذه الآية فأمر الله معناه مخلوقاته، وليس كلامه.
قال تعالى: { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (القصص: 30) قالوا خلق الله الكلام في الشجرة، فسمعه موسى منها.	**التفسير الصحيح للآية:** أن موسى سمع النداء في البقعة المباركة، من عند الشجرة، فمن الشجرة لابتداء الغاية لا أن منها الكلام. **الرد عليهم:** لو أن الله خلق كلامه في الشجرة لترتب عليه أمور: *أن كل كلام في الكون كلامه، حتى السب واللعن، تعالى الله عما يقولن، وهو قول أهل وحدة الوجود. *أن كلام البشر أشرف من كلام الله لأنه خلقه في الشجرة، والبشر أشرف من الشجرة. * لو كانت الشجرة هي المتكلم، فهل قالت الشجرة: إني أنا ربك؟، فمن قال ذلك فقد ادعى لها الربوبية

	من دون الله. *ما هي مزيه موسى كليم الرحمن إن كان سمع كلام الشجرة، ولم يسمع كلام الله؟!.
قال الله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " أي خلقناه قرءانًا، لأن كل مجعول مخلوق.	**ذكر الإمام أحمد أن جعل من الله تأتي لمعانٍ:** **الأول: بمعنى خلق**، وذلك اذا تعدت بمفعول واحد، كما في قوله: " وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ"، وقوله: { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} (الأنعام). **الثاني: بمعنى صير**، وذلك اذا تعدت بمفعولين، فقوله: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا" أي صيرناه، وقوله لابراهيم: " إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" أي مصيرك، وقوله تعالى: { إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} (القصص: 7) أي سنصيره من المرسلين لا أن نخلقه.
قوله تعالى: {مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} (الانبياء : 2)، قالوا: هنا قال ذكر من ربهم محدث، فهذا دليل على أن القرءان محدث أي مخلوق.	**الرد عليهم من وجوه:** **أولًا: التفسير الصحيح للآية:** ما يأتيهم من ذكر من الله نزل جديدًا، لأن القرءان نزل مفرقًا بحسب الوقائع والأحداث، فما نزل جديد، يعتبر ما قبله متقدم عليه وقديم، لا أن القرءان مخلوق. **ثانيًا: قال العلماء: "النكرة اذا وصفت مُيز بها بين الموصوف وغيره".** وهنا ذِكر منكر، ووصف بأنه محدث: فدل على أن منه ما هو محدث، ومنه ما هو غير ذلك.
قال تعالى: { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} فقالوا: الرسول أحدث الكلام العربي.	**الرد عليهم من وجوه:** **الأول: أن الله، ذكر لفظ رسول في موضعين، أحدهما المراد به جبريل، والآخر المراد به نبينا محمد، فهنا الخبران متناقضان:**

	مضاف إلى جبريل-: قوله تعالى: { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} [التكوير: 19- 20]. **مضاف إلى محمد عليه الصلاة والسلام-**: قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ ﴾ [الحاقة: 40- 41]. **الثاني:** أنه قال رسول، والرسول يستلزم مرسِل، فدل على أنه مبلغ لا أنه أنشأه من نفسه، وابتدأه. **الثالث:** الله قد كفر مَن جعله قول البشر فقال: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (المدثر: 18-25).
قال النبي: { اقْرَؤُوا الزَّهْراوَينِ: البَقَرةَ وآلَ عِمرانَ؛ فإنَّهما يأتيانِ يَومَ القيامةِ كأنَّهما غَمامَتانِ أو غَيايَتانِ أو فِرقانِ من طَيرٍ صَوافَّ تُحاجَّانِ عن صاحِبِهما}[2]	واحتجوا أيضًا بحديث بريده بن الحصيب قال النبي: { يَجيءُ القُرْآنُ يومَ القيامةِ كالرَّجُلِ الشَّاحبِ، فيقولُ: أنا الَّذي أسهَرْتُ ليلَكَ وأظمَأْتُ نهارَكَ}[1] قالوا: القرءان يجيء فهو مخلوق. الرد كما قال الإمام أحمد: الذي يجيء هو الثواب، وليس الكلام نفسه.

المبحث الثاني: شبهات، ولازم عقلية باطلة استدلوا بها.

إن قلتم أن الله يتكلم فقد شبهتم	**الرد عليهم من وجوه:** **الأول:** القول في الصفات، كالقول في الذات.

(8) أخرجه ابن ماجه (3781) واللفظ له، وأحمد (22976).
(9) أخرجه مسلم (804)، وأحمد (22267)، والطبراني (138/8) (7542)، والبغوي في ((شرح السنة)) (1193) واللفظ له.

الخالق بالمخلوق؛ لأن كل متكلم له مخرج، وفم ولسان، إذاً قلتم: إن لله مخرجاً وفماً يتكلم به.	فكما أثبتنا لله ذاتًا تليق بجلاله، فنثبت له صفة الكلام كما تليق بجلاله وكماله. **الثاني:** لا يستلزم من إثبات صفة الكلام لله إثبات آلة الكلام؛ لأن الألفاظ قد تطلق ولا يراد بها المعنى المتبادر إلى الذهن من اللفظ، وذلك لقرينة تصرفها عن ذلك. أي قد ثبت أن هناك مخلوقات تكلمت بدون لسان وجوف وشفتان: *السماوات والأرض تتكلم: {قَالَتَا أَتَيْنَا} [فصلت:11] فكيف تكلمت؟! أين لسان السماء؟! أين المخرج من السماء؟! *وجاء في السنة أن النار قالت: (أكل بعضي بعضي)، وقالت: (جعلتني للمتكبرين)، وغير ذلك مما ورد أنه يتكلم. *الصحابة كانوا يسمعون تسبيح الطعام، الحصى، وأنين الجذع، والحجر كان يسلم على النبي.
لو كان آحاد الكلام حادث، لكان الله محلًا للحوادث	الرد عليهم: كلامكم مبني على شبهة، وعدم فهم، وهو أن آحاد الكلام مخلوق، وهذا باطل، بل معنى آحاد الكلام أن الله يتكلم كيف يشاء، متى شاء، وهذا عين الكمال في حقه سبحانه.

فإن قال قائل: هل هناك فرق كبير بين قولنا: القرءان منزل، وقولنا:إنه مخلوق؟

فالجواب: نعم؛ بينهما فرق كبير، جرت بسببه المحنة الكبرى في عصر الإمام أحمد.

فإذا قلنا: إنه منزل. فهذا ما جاء به القرآن؛ قال الله تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي

نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } [الفرقان:1].

وإذا قلنا: إنه مخلوق. لزم من ذلك:

أولًا: تكذيب للقرآن؛ لأن الله يقول: { وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا } [الشورى:52]، فإذا كان وحيًا لزم ألا يكون مخلوقًا؛ لأن الله هو الذي تكلم به.

ثانيًا: إذا قلنا: إنه مخلوق؛ فإنه يلزم على ذلك إبطال مدلول الأمر والنهي والخبر والاستخبار؛ ولهذا قال ابن القيم (إن هذا القول يبطل به الأمر والنهي؛ لأن الأمر كأنه شيء خلق على هذه الصورة دون أن يعتبر مدلوله، والنهي خلق على هذه الصورة دون أن يقصد مدلوله، وكذلك الخبر والاستخبار).